

– وَتَكَبَّتْ عَدُوِّي وَعَدُوْكَ يَا مُسْلِمَةً؟

– وَيَبْلُغُ عَدُوِّي وَعَدُوْكَ مِنْ هَوَانِ الشَّأْنِ مَا لَا يَحْمِلُ أَحَدًا عَلَى التَّفَكُّيرِ فِي أَمْرِهِ!

كان الإسلام في ذلك العهد دينًا خالصًا لله — كأوّل عهد المسلمين به يوم نَزَلَ — لم تدخله خُرَافَةٌ، ولم يغلب عليه باطلٌ، ولم يبتدع فيه مُبطلٌ حدَثًا، إلا بعض ميراث الجاهلية في العامة من الإيمان بالنجوم والتماس علم الغد عندها،^{١٢} وإلا مطمع بعض الخاصة في صدق الرؤيا والهاتف وحُدُس النفس المؤمنة،^{١٣} فقد حدّثهم مَنْ حدّث أنَّ النبي ﷺ قال: إِنَّ الرُّؤْيَا بَصُوعَةٌ مِنَ النُّبُوَّةِ،^{١٤} وإلا بعض ما ألهمتهم آيات من القرآن الكريم عما يتوارثه بعض أهل الكتاب من علم عن الغد يجدونه مكتوبًا عندهم في الإنجيل والتوراة،^{١٥} فهم يلتمسون عند الرهبان المنقطعين للعبادة في الأديار والبيع^{١٦} المنتثرة في أرض البلقاء ووادي الأردن وأرباض الشام^{١٧} وأطراف الجزيرة؛ وإلا ما أحدثه بعض الفرق الإسلامية الناشئة مما يسمونه علم الملاحم ويُسندونه إلى فلان، إلى فلان، إلى علي بن أبي طالب، ويزعمون أنَّ فيه علم الغد كلّهُ مكتوبًا في «جفر»^{١٨} على سبيل الرمز والإيماء، فلا يحلُّ طَلْسُمُهُ إلا من أوتي حظًا من علم.

وكان إيمان الناس في ذلك العهد بهذه المستحدثات يختلف باختلاف بيئاتهم وميراثهم العقلي وحظهم من فهم الإسلام.

ولكن كلّ نفس تستشرف إلى معرفة ما استسرَّ في غدها من غيب الله؛^{١٩} فلا عجب أن نرى — في مثل ذلك العهد — طائفة من أهل التمييز والبصيرة، لا تستنكف من غشيان الأديار وصوامع الرُهبان تسألهم بعض ما عندهم من علم الغد!

^{١٢} التماس علم الغيب عند النجوم.

^{١٣} الإلهام.

^{١٤} جزء من النبوة.

^{١٥} في القرآن الكريم آيات تشير إلى شيء من علم الغد في التوراة والإنجيل.

^{١٦} البيع: المعابد المسيحية.

^{١٧} ضواحي الشام.

^{١٨} يعتقد بعض الشيعة أنَّ علم المستقبل كله مكتوب في جفر — والجفر هو جلد الثور — على سبيل الرمز، وأنَّ تفسير ذلك الرمز يتوارثه علماء الشيعة دون غيرهم.

^{١٩} ما اختبأ في المستقبل من علم الغيب.